زيتون

محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة

السنة الثالثة | 15 أذار 2016

العدد 127

www.facebook.com/ZaitonMagazine | zaiton.mag@gmail.com | www.zaitonmag.com

في الذكرى الخامسة للثورة
المظاهرات تعود لسيرتها الأولى

3 بوتين في سوريا.. الى الوراء در

4 ما مصير الجيل الأول في خامسة الثورة؟

6 معاوية صياصنة..حروف على الجدار فجرت الثورة

بوتين في سوريا.. إلى الوراء درّ

تحرير زيتون

تقاطعت التحليلات وتعقدت الآراء في محاولة إضفاء شيء من التوضيح على الخطوة الروسية بالانسحاب الغالب من سوريا، التي جاءت مفاجأة للجميع وفق ما ظهر، بما فيهم الأمريكيون أنفسهم، في الوقت الذي بدا فيه «المقروء» في سياسة الكرملين الجديدة أكثر من «الغامض» هذه المرة، لا سيما في المرحلة الحالية الحساسة على مستوى الملف السوري ككل.

فقد ذهبت بعض التكهنات إلى أن أمور أخرى تخبأها موسكو خلف الخطوة التي وصفت بأنها «صاعقة» للنظام السوري بكل المقاييس، وهو ما تبدى بوضوح من خلال رصد ردة فعل إعلامه الرسمي على خبر الانسحاب، الذي بدا فيه أنه لم يكن - تماماً - بالتنسيق مع بشار الأسد كما أعلنت موسكو، في تصريح وصف بأنه أقرب لـ«الدبلوماسي» ومن باب «حفظ ماء الوجه» للأسد لا أكثر، فيما من المعروف عن إعلام النظام ترويجه لأي حدث قبل حصوله، لا سيما على مستوى الخسارات الميدانية أو السياسية المتتالية في قاموسه.

ففي حين رأت مصادر روسية أن قواعد اللعبة في العالم تتغير؛ وأن لاعب الشطرنج الروسي لن يترك مواقعه مكشوفة للخصم في أوضاع جيوسياسية مثقلة بشتى الاحتمالات، تبدو القراءات الواضحة لسلسلة الاصطدامات الدبلوماسية التي ظهرت بين كبار مسؤولي روسيا وأزلام النظام كمؤشرات على الورطة الروسية التي أحس بها الدب متأخراً، بعد أن أيقن مسؤولو الكرملين بأن اللعب بالنار كثيراً أمر لا ولن يخدم مصالح موسكو الاستراتيجية طويلة الأمد، وهي الشغل الشاغل للروس أكثر من أي شيء أخر، باعترافهم أنفسهم.

سلسلة الاصطدامات المشار إليها، والتي بدت كنوع من الطعن بالخلف من قبل الابن المدلل لموسكو، بشار الأسد، ومن خلفه الثلة الحاكمة، تأتي بعد أقل من 48 ساعة على تصريح «كارثي» بالمفهوم الدبلوماسي من جانب وزير خارجية الأسد وليد المعلم، مساء السبت الماضي، وقال فيه إن بشار الأسد «خط أحمر» وملك لمن وصفه بـ«الشعب السوري»، مضيفاً أنه لا انتخابات رئاسية وبرلمانية دون إشراف نظامه. كما أتت الخطوة الروسية بالتزامن مع تصريحات «مقززة» للكرملين على لسان رئيس وفد الأسد لجنيف وممثله في الأمم المتحدة، بشار الجعفري، الذي قال فيها إنه لا يوجد شيء اسمه «مرحلة حكم انتقالي»، ولذلك لن يتم التفاوض بشأنها، فيما اعتبرت واشنطن هذه التصريحات اجهاضاً للمفاوضات، وخرقا لتفاهماتها مع موسكو.

بالتوازي مع ذلك، فالتفاهمات الروسية - الأمريكية حول أوكرانيا، وسعي الكرملين درء هبوب رياح حرب باردة جديدة؛ تمثل لدى غالبية المراقبين القاعدة النظرية المتحركة لقراءة الخطوات الروسية، التي لا تفك الارتباط بين الملف السوري والملف الأوكراني نفسه، حيث أن الند المقابل واحد، وهو واشنطن، فيما تمثل هذه الخطوة طعنة مماثلة من الخلف، لا بل صفعة الأب للابن الي تمادى في دلاله، في الوقت الذي راح فيه إعلام الأسد يروج لكون الخطوة الروسية أتت بالتنسيق مع رأس النظام، في حين أن الأهمية الكبرى لا تتبدى بـ«التنسيق» عملياتياً، بل بـ«سحب» القوات والطيران المفاجئ.

ربما هي سياسة الروس الذكية حالياً في الخروج من العرس بالقليل من الحلوى، كخطوة أفضل من الخروج بخفي حنين، فيما الأسد حاليا وجيشه المهترأ وحيدين في الميدان، حيث بدأت أسراب طائرات الـ«سوخوي» ذات الثقل الأقوى، والتي أدت قبل غيرها خلال الأشهر القليلة الماضية لتغيير موازين القوى لصالح النظام بمغادرة «حميميم» في اللاذقية إلى غير رجعة.

في خامسة الثورة.. ما مصير الجيل الأول؟

محمد فواز

لم يكن يظن أولئك الشباب الذين خرجوا في أولى المظاهرات السلمية عام 2011، أن التظاهرات ستغير مسيرة حياتهم بالكامل، فهم خرجوا للمطالبة بإسقاط النظام، على غرار إخوانهم في تونس ومصر، وبعد دخول الثورة السورية عامها السادس، تفرقت السبل بهؤلاء الشباب ليعيش كل منه ظروفاً مختلفة.

كان الطلب الأمني للمتظاهرين هو السبب الرئيس في تخفيهم مما اضطرهم لترك جامعاتهم ومدارسهم وأعمالهم ليتخفوا من قوات النظام، ومع مرور الأيام اختلفت طرقهم، فمنهم من انضم للعمل العسكري ومنهم استمر بالعمل كإعلامي، والبعض اختار المجال الطبي أو الإغاثي، ومنهم من قصد أوروبا بعد اضطرته ظروفه المعيشية لذلك.

وفي ذكرى الثورة الخامسة رصدت زيتون قصص بعض من هؤلاء الشباب الذين تحدثوا عن تجربتهم خلال السنوات الخمس، وعن نقطة البدء في تغير حياتهم بالكامل.

عبد اللّه الحموي الذي بدأ كمتظاهر سلمي يرفع شعارات إسقاط النظام، يعمل الآن كإعلامي مستقل في ريف حماة يروي لزيتون حكايته «خرجت في أولى المظاهرات في مدينة حماة، ورغم استهداف قوات الأمن لنا بالرصاص الحي، بقيت مستمراً بالتظاهر، وبعد دخول جيش النظام للمدينة صارت المظاهرات تخرج في الأحياء خوفاً من قوات الأمن، عملت في تصوير المظاهرات ومن ثم رفعها على الانترنت، وفي أحد أيام الجمعة بعد عودتي من المظاهرة التي كانت في الحي المجاور للحي الذي أسكن فيه، أوقفني عناصر الأمن وتم اعتقالي، بقيت معتقلاً في فرع الأمن العسكري لمدة ست شهور، رأيت فيها الموت بعيني، وبعد خروجي من المعتقل لم تزدني هذه الفترة سوى تصميماً على إسقاط النظام، ولكن مع الضغط الأمني الشديد في المدينة اضطررت للخروج منها إلى ريف حماة المحرر، كي أستطيع الاستمرار بعملي في الثورة، ومازلت أعمل في توثيق جرائم النظام وإنجازات الجيش الحر، وعلى الرغم من الأخطار اليومية التي نتعرض لها بسبب قصف النظام، وسوء الظروف المعيشية، إلا أني سأستمر بالعمل في الثورة ولو بكميرتي التي أحملها لأوثق مايجري، كان عمري في بداية الثورة تسعة عشر عاماً والآن أنا في الثالثة والعشرون، لم أتعلم صنعة ما أو عملاً لأعيش منه في المستقبل لكني سعيد أني قضيت خمس سنوات من عمري في سبيل إظهار الحق».

أما أبو واصل كما يحب أن يسمي نفسه لأنه الاسم الذي عمل به في الثورة، يقول لزيتون:» كنت طالباً في السنة الخامسة في كلية الطب البيطري عند بداية الثورة، ورغم محاولات أهلي الشديدة لمنعي من التظاهر خوفاً علي من القتل أو الاعتقال، إلا أني لم أستطع منع نفسي من التظاهر، فالفساد والظلم الذي كنت أراه كل يوم كان دافعي للتظاهر يصعب كبحه، عملت بجد في تنظيم المظاهرات وكتابة اللافتات وكنت عضواً في أحد التنسيقيات بالإضافة إلى العمل في المجال الطبي والإسعاف، أنقل الأخبار وأرفع المقاطع على الانترنت وأرصد كل أفعال النظام المجرم في مدينة حماة، لم أعد أستطيع الذهاب للجامعة بسبب الطلب الأمني حيث كنت من أهم المطلوبين في المدينة، ومع ازدياد الضغط الأمني لم يعد هناك الكثير لأقدمه في الثورة، تركت جامعتي وأهلي وكل شيء ورائي وذهبت إلى ريف إدلب حيث أستطيع العيش بحرية دون سيطرة النظام، ومع أني لست ضد حمل السلاح لمقاومة النظام إلا أني لم أجد نفسي في المجال العسكري، لذا تطوعت في الدفاع المدني وصرت أعمل كمسعف، حرمت رؤية أهلي الذين اشتاق لهم بشدة وتركت جامعتي إلا أني أشعر بالرضى عن نفسي لأني لم أتراجع ولم أتخاذل كما فعل الكثير ممن أعرفهم».

ويرى أبو المجد الذي بدأ كمتظاهر سلمي أن هذا النظام لن يفيد معه إلا السلاح والقتال وبغير ذلك لن يرحل ويضيف لزيتون: «بعد عام من العمل السلمي في حمص عرفت أن هذا النظام قاتل ومجرم، وكنت أرى في كل يوم شبابنا يقتل بنيران قوات الأمن في المظاهرات والباقي يقوم باعتقاله، لذا قررت أن العمل العسكري هو الحل، حملت السلاح وعملت دورات في القنص، كنت في بابا عمرو وقاومنا حتى آخر لحظة، وكنت في الخالدية التي أصبحت أسطورة للمقاومة، لكن للأسف الخذلان اضطرنا للخروج، أصبحت الآن قيادياً في أحد الفصائل العسكرية ، وأنا مستمر بالمقاومة فإما النصر أو الشهادة».

أما زاهر الذي انتهى به المطاف في ألمانيا، فيتحسر على تلك الأيام الأولى في الثورة التي كان فيها من المتظاهرين، قائلاً: «مازالت تلك الذكريات هي آنيسي الوحيد في غربتي، فعلى الرغم من الخطر الذي كنا نعيشه، إلا أني كنت أشعر أني أقدم شيئاً لنفسي ولوطني، في البداية خرجت بالمظاهرات ثم عملت متخفياً في المجال الإغاثي، كم كنت أشعر بالسعادة عندما أرى النساء والأطفال يفرحون بما نعطيهم، اعتقلت بسبب عملي هذا في عام 2013 لمدة خمس شهور واستطعت الخروج بعد أن دفع أهلي مبالغ مالية طائلة، بعدها أجبرني الأهل على السفر خارج سوريا، لأني ابنهم الوحيد معتبرين أن ما قدمته يكفي، هاجرت إلى ألمانيا إرضاء لأهلي ولكن تلك الأيام التي قضيتها في خدمة الثورة كانت أسعد أيام حياتي».

ما تم عرضه من نماذج هي قصص لبعض الشباب الذين خرجوا في أول الثورة، والكثير منهم لم تعرف قصصهم ، فبعضهم في ظلمة المعتقلات ،وكثير منهم أصبحوا تحت التراب بعد أن ضحوا بأرواحهم في سبيل حرية وطنهم.

أحوال الحلبيين في الذكرى الخامسة للثورة

محمد علاء

وأنت تمر في طريق الكاستيلو محاولاً الوصول لمدينة حلب، تشعر بالخوف وبقربك من الموت، فهناك طائرة في السماء، تحلق لتتصيد المارين في الطريق، وعلى جانب الآخر قناص يتربص بك لينهي حياتك، في أحد أخطر الطرق في سوريا وربما في العالم.

وما أن يكتب لك العمر وتصل للمدينة، سترى أحيائها الشرقية التي أنهكتها الحرب، ودمرها القصف الجوي المكثف، والذي اجبر سكانها على الخروج منها مكرهين، لبلاد الجوار أو لمناطق أخرى أكثر أمنا قرب الحدود، لا تحاول أن تتخيل كمية الإجرام الذي حول هذه المناطق المأهولة والتي كانت لا تنام، الى مدينة أشباح مخيفة، فلن تستطيع.

بعد انقطاع طريق حلب إعزاز، بات لزاماً على قاصدي مدينة حلب، الذهاب بعيداً الى ريفها الغربي، ومنه الى ادلب، للوصول الى تركيا، والتي يأتي منها الغذاء والدواء وتنقل إليها الإصابات الخطرة، عدة عقد تعترض عابري هذا الطريق أخطرها على الإطلاق وهو منطقة الكاستيلو، التي تدور فيها اشتباكات عنيفة، بين الجيش الحر، والقوات الكردية التي باتت تحاول الوصول الى الطريق وقطعه، إضافة لرصد قناصاتها المدنيين الذين يستخدمون هذا الطريق، أخر الحوادث كان القيادي في الجيش الحر عمر سندة، الذي نالت منه إحدى رصاصات القناصة وهو يمر من الطريق، وانعكس تأزم أحوال الطريق سلباً على أحوال الناس في المدينة، ناهيك عن ضعف الإمداد للفصائل العسكرية والأمنية والطبية.

الوضع الصحي بتدهور مستمر

الدكتور محمد أبو محمدين من مكتب العلاقات العامة في المجلس الطبي لمدينة حلب ACMC» « تحدث لزيتون عن الوضع الصحي والصعوبات قائلاً: «تقوم بتقديم الرعاية الطبية في حلب المحررة ثلاث هيئات طبية إضافة لمديرية صحة حلب الحرة، المشافي في حلب تقسم الى جراحية تستقبل حالات الطوارئ الجراحية كالأمراض جراحية أو الرضوض من حوادث السير والسقوط أو الناجمة عن القصف وهناك مشاف للرعاية الأولية تعالج الأمراض الداخلية والأطفال والنسائية و التوليد، بالإضافة لمستوصفات تعمل كعيادات متعددة ونقاط طبية تقدم الإسعافات الأولية.

وأضاف أبو محمدين: «لدينا في حالات الطوارئ 3 منظومات إسعافية بالإضافة للدفاع المدني، تقوم بمهمتها بنقل الإصابات من أماكن القصف للمشافي الجراحية أو نقل الحالات التي تتطلب بعض الاختصاصات النادرة خارج حلب، وكل مشفى أو هيئة تتلقى دعماً من منظمة طبية أو أكثر منه ما هو كامل ومنه ما هو جزئي».

وأكد انه خلال الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي تعيشها المناطق المحررة وما حدث بعد قطع طريق إعزاز حلب دفع بعض الكوادر للنزوح باتجاه الحدود، منهم من أرهق مادياً جراء نقل بيته وعائلته واستئجار بيت لإيواء من يعيل، ولاسيما أن صرف رواتب الكوادر تأخر من بعض المنظمات ربما لأكثر من شهرين، هذا التأخير دفع بقسم من الكوادر للنزوح خارج المحافظة أو حتى خارج سورية.

وقال أبو محمدين «أهم أزمة يعانيها القطاع الطبي هو الخوف الدائم من الاستهداف الممنهج والمتكرر لكافة المنشآت الطبية، ولو كانت مجرد سيارة إسعاف أو مشفى أطفال أو نسائية، وهذا يعتبر خرقا لكافة القوانين و المواثيق الدولية و اتفاقية جنيف حول حماية المدنيين و الكوادر الطبية و المنشآت الطبية زمن الحرب، لكن ما جرى في سورية وما زال يجري يعتبر من جرائم الحرب التي عجزت كافة المنظمات الدولية الإنسانية والأمم المتحدة و مجلس الأمن من اتخاذ أي إجراء فعال لحماية

الكوادر الطبية في سورية أو دعمها لتثبيتها وتشجيعها كي لا تترك المواطنين دون خدمة ورعاية طبية.

ووثقت هيئات حقوق الإنسان استهداف الكوادر والمنشآت الطبية بسلاح الجو الروسي والسوري والذي يعتبر أحد وسائل الحرب ضد المدنيين بعد استخدامه في سورية دون رادع.

ونوه أبو محمدين أن الخوف من الاعتقال أو الإيذاء أو التصفية والاستهداف دفع الكثير من الكوادر الطبية لمغادرة سورية بحثاً عن الملاذ الآمن وربما دفع البعض للمغامرة ولركوب البحر وقد فقد بعض الأطباء أرواحهم ومن معه للعيش في مكان بعيد عن الحرب.

وختم أبو محمدين قائلاً :»إن نقص الكوادر الطبية هو الرقم الصعب في العمل الطبي حيث تقلص عدد الجراحين عن بداية الثورة للثلث تقريباً وذلك بعد عام البراميل المتفجرة اليومية في 2014 مضيفاً انه نتيجة الحاجة الملحة لنقص الكوادر الطبية تم إنشاء مدرسة التمريض لتأهيل كوادر طبية مساعدة وبديلة عمن هاجر لتعويض النقص الحاصل في الفنيين الطبيين والتمريض.

وكان لإغلاق الحدود أثر سلبي بنقص الأطباء المتطوعين من المغتربين الذين كانوا يقضون إجازاتهم بخدمة أهلنا في الداخل، بالإضافة لانقطاع طرق الإمداد والإسعاف باتجاه إعزاز حيث كان المعبر الأقرب لحلب، تأتي غالبية المساعدات الطبية من معبر باب السلامة وكذلك عمليات الإسعاف تنقل من خلاله، وإغلاق الطريق بوجه الكوادر الطبية التي يسمح لها بقضاء عطلتهم مع عائلاتهم بتركيا من العبور عبر باب السلامية، جعل الكثيرين يفكرون البقاء في تركيا. ريثما يتم نقل أسمائهم لمعبر باب الهوى.

قطع الطريق أثر أيضاً على توفر مادة المازوت التي تعتبر المادة الأهم للطاقة الكهربائية، ولحركة سيارات الإسعاف.

ينهي أبو محمدين حديثه بالقول: «أصبح العبور من مدخل حلب الوحيد المرصود من القناصة أحد عوامل الرعب الإضافية».

ارتفاع أسعار المحروقات بسبب انقطاع الطريق

بعدما كانت حلب تستورد المحروقات القادمة من مناطق داعش، الى باقي مناطق شمال سوريا، أصبحت الأن تستورد محروقاتها من محافظة ادلب، هكذا بدأ ناقل المحروقات أبو احمد حديثه لزيتون وأضاف قائلا:

«بات علينا الأن أن نذهب لإدلب، ومنها الى عفرين، ومن عفرين الى إعزاز، ومنها الى مناطق داعش، وهي طرق ليست مفتوحة دوماً، ومغلقة معظم الأوقات، كما أن استهداف الطيران الروسي لسيارات نقل المحروقات بحجة محاربة داعش، كان له اثر سلبي كبير، وامتنع الكثير من ناقلي المحروقات المرور بهذه الطرقات، وباتوا يحضرون المحروقات التي تصل الى ادلب».

وقال أبو احمد: «ارتفعت أسعار المحروقات بنسبة 100٪ منذ إغلاق طريق إعزاز حلب، والذي كان طريقاً قصيراً لجلب المحروقات لحلب، كما أن المسافة الكبيرة للجبهات بين داعش والحر، كانت تجعل من طريقنا أمن بعيداً عن أي اشتباكات، لكن بعد سيطرة النظام والقوات الكردية لمناطق كانت للجيش الحر، جعل من هذه الجبهات ضيقة نعبرها دائما بخوف كبير وكل ذلك أدى لارتفاع الأسعار، على المدنيين، لأننا لا نستطيع أن ننقل دون ربح، ولا يؤثر الغلاء لأني ارفع من أجرة النقل كلما ارتفع السعر، بل يتحمل المدني لوحدة عبئ ارتفاع أسعار المحروقات وما يترتب عليه».

المدني هو الخاسر الأكبر

وتحدث أبو حسن وهو صاحب محل خضروات عن ارتفاع الأسعار الجنوني الذي حصل بعد انقطاع طريق حلب إعزاز وقال لزيتون: بعد فصل إعزاز ومارع وريفهما عن ريف حلب الشمالي، وقطع الطريق الفاصل بينهما من قبل القوات الكردية في عفرين، ارتفعت أسعار الخضروات والمواد الغذائية الى أضعاف ما كانت عليه، والتي كانت مرتفعة أصلاً، وكلما سألنا التجار عن سبب الارتفاع، يكون الجواب هو خطورة الطريق وبعده، وارتفاع أجور النقل، وقد قال لي احد التجار أن أجرة الشاحنة لنقل مواد من باب الهوى الى حلب 400 ألف ليرة سورية ولا يوجد من يقبل، بعدما كانت 100 ألف».

وأضاف أبو حسن «هذا الارتفاع هذا لا يدفعه التاجر من جيبه، بل يدفعه المستهلك، لأن التاجر يجنب نفسه أي خسارة ممكنة، دون رحمة للناس في ظل الحرب، كما أثرت تأخر وقلة توزيع الإغاثة بحلب بارتفاع الأسعار كذلك الأمر، وكله يوضع على كاهل المواطن المسكين الذي لا حول له ولا قوة».

وكانت قوات النظام في شهر شباط 2016، قطعت طريق حلب - إعزاز، وأصبحت على وشك حصار مدينة حلب، التي لم يبقى لها منفذ سوى طريق حلب - كفر حمرة، ومنه إلى الريف الغربي وباقي بلدات ريف حلب ومحافظة ادلب، التي أصبحت هي المتنفس الاقتصادي والتجاري والاغاثي لمدينة حلب بعد محاصرة باب السلام الحدودي من عدة جهات.

حروفه على الجدار فجّرت الثورة "معاوية صياصنة"، حالم بالطيران يكره الطيّارين

أسامة عيسى

اقتادوني إلى مخفر الشرطة في درعا البلد، كان هناك ضابط اسمه الملازم جهاد من دير الزور. بقينا هناك أسبوعاً، كنّا تسعة أطفال، عذّبونا يوميّاً صعقاً بالكهرباء وبالشَبْحْ. من المخفر أخذونا إلى الأمن السياسيّ، بقينا هناك ثلاثة أيّام، تعرّضنا لتعذيب أشدّ... كان التعذيب قاسياً جدّاً، حضر العميد عاطف نجيب (رئيس فرع الأمن السياسيّ بدرعا آنذاك وابن خالة بشّار الأسد) وأمر عناصره بتعليقنا على الجدران وضربنا بشدّة، كان هو يضربنا ويسألنا بعصبيّة: من يقف خلفكم ومن بعث بكم لتكتبوا على الجدران؟ وقال إنّنا (خونة!) لم أكن أعرف ما معنى هذه الكلمة وقتها. بقينا هناك خمسة أيّام، نقلونا بعدها إلى فرع الأمن الجنائيّ وفيه بقينا أربعة أيّام، أيضاً أهانونا كثيراً، كان العقيد أبو جعفر المسؤول هناك. نُقلنا بعدها إلى الشرطة العسكريّة، وفيها كنّا نضرب كلّ ساعة. من ثمّ إلى سجن غرز، ثمّ إلى جمرك درعا قبل أن يفرجوا عنّا".

جريمة كونيّة

رجفة غريبة بدت على جسد وصوت معاوية الصياصنة وهو يستنهض ذكرياته كطفل في 24 شباط 2011، حين ألقي القبض عليه بتهمة تدوين عبارة (جاييك الدور يا دكتور) على أحد الجدران، ليكون أحد مفجّري الثورة السوريّة. يصمت معاوية ثمّ ينظر في هاتفه الخليويّ، قبل أن يتابع الحديث ويسرد بألم: "كانت ليال سوداء، أشعر بخوف كبير عندما أتذكّرها. جماعة المخابرات عذّبوني، وكأنّي ارتكبت جريمة كونيّة!".

ولد معاوية صياصنة في 23 آب من العام 1994 في درعا البلد، إحدى مناطق مدينة درعا، على الحدود السورية – الأردنية، وقرب معبر ما يسمى الجمرك القديم جنوب سورية، وهاهو يبتسم اليوم مع اقتراب ما يسمّيه بـ"العيد" أي ذكرى الثورة في منتصف آذار، حين قُرعت أجراسها قبل ستّة أعوام خلت، كان قبلها يحلم بأن يكون طيّاراً ويحدّث أهله أصدقاء طفولته عن ذلك، لكنّ معاوية يستدرك: "يا ليتني لم أحلم بهذا.. كنت أتمنّى أن أكون طيّاراً في بلدي، كنت أحبّ ذلك بالفعل، لكن لم أعد أرغب بهذا الآن؛ لأنّني رأيت كيف يقوم الطيّار بإلقاء البراميل المتفجّرة والصواريخ على المدنيّين، أنا لا أطمح لأن أفعل ذلك.. كلّا.. كان مجرّد حلم طفولي وتراجعت عنه.. أنا أكره كلّ الطيّارين الآن!".

يلخّص معاوية شعوره، وهو يعيش اليوم في منطقة ساخنة تصنّف كمنكوبة في جنوب سورية، وفي عيونه عشرات نقاط الغموض كانت مبعثاً لأسئلة أكبر من عمره الذي قضى منه خمس سنوات طفلاً بلا طفولة حتّى غدا شابّاً، فيقول: "كانت تجربة مرعبة جدّاً".

طفولة اغتصبتها الحرب

أمضى معاوية الطفل وهو ابن الـ 15 عاماً في أقبية أجهزة النظام السوريّ برفقة أطفال آخرين من درعا 21 يوماً تحت مقصلة السلطة، خلالها قامت الثورة، والآن عندما يعود إلى ذكريات ما قبل الاعتقال، مسترجعاً شريط الطفولة، تبدو على وجهه فصول الفرح الممزوج بالأمنيات المستحيلة، ويقول بحرقة: "أتمنّى أن يأتي أبي ليأخذني ويشتري لي.. يلاعبني.. كما كلّ الأولاد". يحكي معاوية عن والده وكأنّه لم يستشهد في العام 2013 نتيجة قصف طيران النظام السوريّ لبيته. تقاعد عن العمل في

العام 2012م فقد كان موظفاً في دائرة المياه لدى الدولة، وها هو معاوية الآن يعيش في ذلك المنزل مع والدته وأشقائه الثلاثة، وشقيقته الوحيدة في غرفتين جرى ترميمهما على عجل من بيته المدمّر، ولا يشعر فيه بالأمان، ففي كلّ لحظة التفاتة، ميمنة، ميسرة، وأيضاً إلى الأعلى، إلى السماء، مترقّباً صوت الطيران. يعود ويحكي بلهفة المتعطّش عن مدرسته، فهو لم يرها منذ عام 2011، لقد خسرها تماماً. قال وكأنّه يجلد نفسه: "كنت طالباً في المدرسة عندما اعتُقلت، وعند الإفراج عنّي لم أعد إليها، لأنّها دُمّرت... صعب جداً عليّ حين أتخيّل نفسي بلا تعليم. الآن لا توجد مدارس، كلّ شيء أصبح خطيراً، كلّ شيء اختلف، تغيّر، الحياة، الدمار يملأ البلد، الناس التي تموت، الطفولة، وأنا لم أسّس شيئاً لنفسي حتّى اليوم. مستقبلي رحل بلا رجعة".

الثورة حاضرة بمراحلها

أمّا عن الوقت الراهن فيقول معاوية بأنّه يمرّ حالياً بمرحلة هامّة من حياته، "إنّها المعارك المسلّحة مع الجيش الحرّ لردّ النظام السوريّ عن الدخول لمناطقنا، إنّه قتال دام وعنيف"، لكنّه في الوقت نفسه بنظره "واجب"، ويتحدّث هنا بواقعيّة: "أنا مقاتل، لم أعد طفلاً. ونحن الآن هنا إمّا أن نعيش وإمّا أن نموت. الوضع أصبح صعب جداً..".

بين الطفولة المُغتالة وجحيم الحرب، ينمو الصراعُ بحثاً عن حياة جديدة، فالحرية كلّفته ثمناً باهظاً، خسر حلمه ووالده ورفاقه، منهم من مات ومنهم من أضحى معاقاً، ومنهم من فرّ مهاجراً. كلّ هذا بدا جزءاً من عوالم معاوية، الذي يتوق للاحتفال بالذكرى السادسة للثورة، معتبراً أنّ "ما حصل كان لازماً أن يحصل منذ زمن بعيد، إنّه قَدَر السوريّين ليقضوا على الظلم الذي دام عقوداً".

لا يسهب في سرد معاناته الخاصّة، فبين جملة وأخرى يعرض معاوية صوراً لضحايا يعرفهم، الأمر الذي خلّف في نفسه – كما يقول – كرهاً كبيراً لرأس النظام، ويقول عنه:

"هذا ليس رئيساً، إنّه مجنون، أهبل، فلتان، يقتل في كلّ مكان! يقول عنّا إرهابيّين! الإرهابيّ هو القاتل، وهو من لا يفرج عن المعتقلين، هو الذي يحاصر النساء والأطفال!". ويرى أنّ الردّ على ذلك هو بالثورة، التي يتغنّى بها معاوية ويعتبرها أمّه، وتراها غائرة في أعماقه، لتبرز معها مشاعر الطفل الثوريّ، فهي: "كرامة، حرّيّة، هي كلّ شيء..."، لكنّه بالمقابل يكره الدماء، ويرى أنّ "الناس أجبرت على حمل السلاح لتدافع عن نفسها، والحراك الشعبيّ مرّ بمراحل كان أوّلها سلميّاً، ما زلنا نتغنّى به".

لا مسكوت عنه

يأتي معاوية إلى المرحلة الحاليّة، وقد أضحت فيها "الحرّيّة" التي طالب بها بجسده الغضّ شبحاً مطارَداً في البلاد، فيما يعرّج بألم على النتائج الدموية للصراع، إذ لا تهدأ آلة القتل والدمار، ثمّ يتنهّد ببراءة الطفل ويحدّق في الجوال مرّة أخرى مخاطباً نفسه: "هناك قصف.. اشتباكات.. عدّة شهداء وجرحى..".

على بعد أيّام ذكرى انطلاق الثورة. ومعاوية ما زال في الساحات الأولى للثورة، إنّه يعدّ العدّة حاليّاً لذلك اليوم "التاريخيّ" كما يصفه، لكنّه يرى أنّ الاحتفال يكون كلّ عام بشكل أفجع ممّا سبقه، إنّه نزيف الدم المتواصل دون هوادة. هي الحرب المجنونة في البلاد، لكنّه يتهرّب من الألم بسرعة، ويطرح سؤالاً يؤرّقه شخصيّاً: "الشعوب التي طالبت بالحرّيّة لم تُرم بالبراميل المتفجّرة والصواريخ، لماذا حصل هذا معنا فقط؟"، ويتابع مستنكراً "العالم ضدّنا.. الحرّيّة حلال عليهم وحرام علينا؟!".

وبين تراكمات الأيّام القاتمة التي لاقاها مبكّراً، طفولة أزهقت ورُدمت، لم يعش منها سوى لحظات مليئة بالخوف الممزوج بحرقة وداع أناس جدد يوميّاً، قبل الثورة كانوا أعزّاء على قلبه سيبقى يذكرهم: عمّار الرشيدات، أحمد العاقل أبازيد، ومحمّد الفيصل أبازيد، كانوا معه منذ الصغر، هم أصدقاؤه؛ لكنّ عمّار قضى في الثورة وأحمد أصبح لاجئاً، بينما محمّد لا زال قريباً نسبيّاً من مكان معاوية، إلّا أنّه لا يستطيع الحركة بعد تعرّضه لإصابة جرّاء قصف النظام السوريّ.

ولأنّ "فاتورة الثورة الدم" كما يقول معاوية، فالمسكوت عنه ممنوع في قاموسه، إذ تتجلّى مظاهر النضج المبكّر فيه وهو يروي كيف يستيقظ صباحاً ليمتشق سلاحه ويذهب لجبهات القتال، ويبقى هناك حتّى المساء حيث يعود مرهقاً. بعدها يشحن هاتفه بطريقة المحاصرين في سورية: "عن طريق بطارية سيّارة، أيضاً نستعملها للإضاءة، فلا تأتينا الكهرباء إلّا ساعتين في اليوم فقط، أتابع الأخبار عبر الأنترنت.. ثمّ أنام.. بس هيك!!".

سنعود لنكتب

لا شيء سلبيّ في الثورة التي ساهم بتفجيرها يمكن أن يمرّ دون أن ينتقده، ويؤكّد أنّها "ثورة كلّ السوريّين، نريد حرّيّة وكرامة وعدالة.. لذلك الثورة ليست بالتطرّف ولا بالقتل. نحن ندافع عن أنفسنا فقط، وإلّا سنموت! لا يوجد احتمال آخر.. هذه هي القصّة".

تبقى حسرة في نفسه على من لن يعود، مترقّباً المجهول في قادم الأيّام، محاور بارع بسيط مقنع بأنّه صاحب قضيّة، يتنبّأ بـ "النصر القادم لا محالة، نصر السوريّين، نصر لا يتوقّف على أحد ما بالتأكيد.. لغاية اليوم سوريا بدّها حرّية، وسأرجع أنا أو أحد الشبّان لنكتب على جدران مدينتنا.. سورية التي طالبت بالحرية.. نالتها".

خمس سنين والمظاهرات تعود لسيرتها الأولى

أحمد فرج

كان يوم جمعة عادي، لكن شيئاً من التوتر والقلق بدا على وجوه الشبان في البلدة التي تعتبر نفسها معنية بأي حراك سياسي، ولا يعرف السبب لمثل هذا الشعور المتنامي لدى الشبان الذين لم يعايشوا أية هزات سياسية في عمرهم سوى ما سمعوه من جيل أبائهم من اضطرابات سياسية سابقة.

الأحاديث التي كانت تحكى في الجلسات الخاصة عن إمكانية خروج مظاهرات في سوريا أسوة بغيرها من دول الربيع العربي هي السبب وراء الترقب والحذر الذي يشعر به الناس رغم بعد التوقعات عن أي حراك قريب، وإن حدث فلا بد أن يجري في العاصمة أو المدن الكبرى ومن المستبعد أن تشهد البلدات الصغيرة كهذه البلدة هكذا تمرد.

وكعادة الريف بدأ الناس بأخذ مواقف متناقضة وحادة من الحراك المتوقع من قبل أن يبدأ حتى. أبو محمد وهو رجل عاطل عن العمل قال في وسط السوق انه سيكون «أول القامعين بالحذاء لأي مظاهرة يراها».

أبو حسن موظف حكومي قال أنه مستعد لأن يشارك بالمظاهرات شرط أن تكون في دمشق وبأعداد غفيرة، آخرون رأوا أن الحراك مستحيل ولن يحدث نظراً لقبضة النظام الأمنية التي ستقمعها بشدة، لكن البعض ظل صامتاً باهتمام وترقب.

كل تلك الأحاديث كانت محاولة لجس نبض الناس لبعضهم، ولم يتعدى الأمر مجرد استطلاع للرأي فليس من داع لأخذ مواقف ضد بعضهم لأمر قد لا يحدث أبداً.

المظاهرة الأولى 2011/3/25:

في ظهيرة تلك الجمعة مر إبراهيم الشاب المحبوب والكادح ليخبر الجالسين (الذين اعتادوا شرب القهوة في دكاكينهم في وقت الصلاة تجنبا لأي إحراج) أن مظاهرة تجري الأن عند جامع الزاوية، قالها بدون اهتمام أو شعور بالخطر وكأنه يخبر عن حادث عابر.

لم يدم الصمت طويلا حتى أخذ كل من الحاضرين قراره، قلة من ذهبوا ليروا المظاهرة في حين أن أغلب الحضور إلتحق بالوجبة الدسمة المعتادة في مثل هذا اليوم لدى العائلات.

عشرون شخصا أو يزيدون كانوا يقطعون الشارع ذهاباً وإياباً، ارتباك واضح يبدوا على الجميع سواء المشاركين أو المتفرجين، المشاركون خليط من الأعمار والاهتمامات والشرائح، فلا رابط سياسي أو اجتماعي يجمع بينهم، وكأن صدفةً وحدها جمعت بينهم.

سيارات الأمن لم تتأخر لكنها لم تتدخل، في حين وقف المخبرون يتفحصون وجوه الناس، فوضى عارمة تجتاح المكان، لم يعد يعرف من هو المشارك ومن هو المتفرج، حالة من عدم التصديق والفرح والارتجال تعم الناس، لم تطل تلك المظاهرة أكثر من ساعة، لينتهي ذلك اليوم بالصلاة على الشهداء الغائبين في درعا وليمضي كل مشارك الى مراجعة مسؤولياته.

قال لي صاحبي وهو يتذكر بعد خمس سنين ذلك اليوم: «لم يكن مخططا لها للأمانة، ما جرى أن أحد الشباب طلب من الإمام في صلاة الجمعة الدعاء لشهداء درعا، ليقوم مخبر للنظام بضربه بالحذاء، ما أشعل المسجد، وأصر عشرة من الشبان على قراءتها خارجاً ومن ثم لينطلق هتاف شاب قلة من كانوا يعرفونه لصغر سنه ودماثة أخلاقه، بالروح بالدم نفديك يا درعا، بالروح بالدم نفديك يا شهيد، اللّه سوريا حرية وبس».

ذلك الشاب هو «حاف» الذي سيكون له دور كبير في أعطاء روح النبل والفروسية للمظاهرات وللسلاح فيما بعد.

تناقل الناس أن قسماً كبيراً ممن أدوا الصلاة لم يكونوا على وضوء، كما اتهم بعض المتفرجين هؤلاء المصلين بمجموعة من الأولاد والجهلة بما ينتظرهم، وعبر الكثيرون عن عدم استعدادهم للتظاهر مع هكذا أشخاص، في إشارة لتفوقهم الاجتماعي والطبقي».

«حمل ثقيل انزاح عن صدري، شعرت بأن تلك الصرخات التي أطلقتها كان يجب أن اصرخ بها منذ زمن، فرح هائل وسعادة لم أحس بها من قبل، كل عمري وأنا أخاف من المخابرات لكن في تلك اللحظة لم أشعر بأي خوف» هذا ما قاله معن أحد المشاركين.

المظاهرة الثانية 2011/4/8

كتبت اللافتات بليل، وخبأت تحت الثياب ومع خروج الناس من باب المسجد، بدأ انتظار الجميع للصرخة الأولى، يتباطأ الناس بالمغادرة، بعيون حذرة يبحثون عن البداية يجرون أحاديث يقنعون أنفسهم بأنها حجة للبقاء، فالبقاء بحد ذاته مشاركة تحسب عليهم، ثوان من الانتظار ثم ينبري شبان صغار بصرخات الولادة.

جمع غفير ودموع فرح وشعور بالخلاص القريب تسير المظاهرة كسيل جارف لا يمكن لشيء أن يوقفه أو يمنعه، الرعب والمتعة، الخوف واللذة، الولادة والألم.

مازالت المظاهرة تنادي بالحرية وبالإصلاح بلا إسقاط للنظام، الخط الأحمر الذي تمسك به الأمن لم يدم طويلاً، حلقات النقاش ازدادت حدةً وعدداً، التجمعات صارت تأخذ صفات سياسية، كل المتظاهرين أخوة، ولم يعد للأخوة أي معنى إن كان أحدهم موال، «الأخوة الأعداء» ظاهرة انتشرت بسرعة في المجتمع الذي تعرض لشروخ عميقة أصابت العائلات، حتى الزواج كمؤسسة بدت هشةً أمام هذا الطوفان القادم.

قلة هم المؤمنين بروح الثورة وهم الذين كانوا الضمان لعدم

انحرافها بشكل مبكر، وهم من ناضلوا لكي تبقى ثورة نظيفة وللجميع، لكن لم يمتلكوا القدرة على تحصين ثورتهم لا من حيث التنظيم والإدارة ولا من حيث الرؤية في حماية أهدافها.

روح التفاؤل التي سرت في سوريا شجعت الناس على حضور المظاهرة الثانية التي تأجلت أسبوعاً، وقد أعطت هذه الفترة الفرصة لمن تأسف على عدم حضوره المظاهرة الأولى أو لمن أراد أن يأخذ وقته في التفكير قرار المشاركة.

ازدياد عدد المتظاهرين يعطي إحساساً بالأمان والقوة للمشاركين، كما يؤكد صوابية موقفهم، وان الخوف الذي منع الناس من التظاهر سابقاً انكسر الأن، وصار استطلاع حجم الحضور والسؤال عن الغائبين والترحيب بكل جديد، من روتين كل مظاهرة، ما خلق رابطة سرية نشأت المتظاهرين، أخوّة وثقة، ورفقة تمرد.

في فرع الأمن العسكري

مذكرات الحضور التي وصلت للمشاركين بسرعة من أفرع الأمن لم تقلل من الإحساس بأن أمراً هائلاً وحدث جلل يفوق حجم الأمن والمخابرات قد حدث، ولم يعرف أحداً ما سيؤول إليه مصير المتمردين المغامرين.

«لقد وعد السيد الرئيس وهو صادق حين يعد بأنه سيجري إصلاحات قريبة، لكن لن تصبح سوريا مثل ليبيا أو تونس إياكم أن تتظاهروا مرة أخرى»، قالها العميد نوفل رئيس فرع الأمن العسكري في محافظة ادلب بعد أن ضرب بيده على الطاولة بقوة، كان ذلك في مكتبه في فرع الأمن حين اجتمع مع كل من تظاهر في البلدة، وصافحهم واحداً واحداً بوجه مبتسم وبشوش حتى كاد أن يطلب لهم الشاي إلا أن العدد الكبير أعجزه عن تقديم الضيافة.

موظفون لا موالون

قدرة النظام على ربط رزق الناس ووظائفهم بولائهم له، كانت إحدى أكبر العقد المحيرة في عقول الناس التي بدأت تصنف وتؤطر من حولها، الموظفون بما يملكون من وعي إداري ووظيفي كانوا يدركون فساد النظام، لكنهم كانوا عاجزين عن الالتحاق بالتظاهر والمغامرة بقوت أبنائهم، ظلت حالات التمرد قليلة من الموظفين في حين تحمل معظمهم سخط الجمهور الثائر والذي كان يراوح مابين تخوينهم وتقدير موقفهم أحياناً.

يواجه مصعب وهو مهندس لم يتخل عن وظيفته رفاقه الذين استنكروا عليه حد الغضب والقطيعة خروجه بإحدى المسيرات المؤيدة في المحافظة: «ماذا سأفعل.. لقد ساقونا من الدائرة غصباً لنقف في إحدى الساحات مرغمين ب»مسيرة عفوية»، ولو كان لي عمل أخر لما التحقت بوظيفتي لكن لدي أطفال وعائلة وعلي أن أطعمهم»

تشييع الشهيد «غسان العبدو» أول جندي شهيد رفض إطلاق النار على المتظاهرين 2011/4/26

من أبرز الأحداث التي ساهمت بحسم خيار الأهالي استشهاد الشاب غسان العبدو، الذي رفض إطلاق النار على المتظاهرين في درعا، القصص التي كانت تحكي عن إعدام كل جندي يرفض إطلاق النار على المتظاهرين لم تترك مجالاً لمشكك في سبب استشهاد غسان، ثار أهالي البلدة غضباً، وانضم الكثيرون للحشد الذي انتظر الجثمان عند بيته، ليفاجأوا بمنظر فاقع من التناقض، ضباط الجيش ومراسم عسكرية كانوا يتقدمون الموكب مع باقات الورود، مشهد يختصر كل الكذب والخداع التي برع بها النظام وحفظها الناس، ترافقهم كميرا التلفزيون السوري، طردهم المتظاهرون بسرعة وهتفوا بألم «كاذب كاذب كاذب الإعلام السوري كاذب».

أنور خطاب أحد الموالين قبل الحادثة والذي استشهد بعد شهور قليلة وهو يجابه جيش النظام أثناء اقتحامه للبلدة قال: «نعم كنت موالياً لكن بعد هذه الحادثة لن أوالي أحدا إلا المظاهرة، لم أكن أتوقع أن يأمر أبنائنا بقتلنا ويقتلهم إن لم يرضخوا»

زوار الليل يقتحمون البلدة في ساعة متأخرة من الليل

بعد منتصف ليلة 2011/4/30

في الساعة الثانية ليلاً داهمت مجموعة من سيارات الأمن البلدة، قادمة من ادلب واعتقلت أكثر من 30 شخصاً، بالأدب المعروف عنهم اقتحموا بيوت المطلوبين وأرهبوا النساء والأطفال وتسلقوا الأسطح وكسروا الأبواب، في مشهد يؤكد أن لا أمل بحل سلمي مع هذا النظام الأمني.

انتشرت سيارات الأمن في كل أحياء البلدة كذئاب جائعة، حمى من الاتصالات بين المتظاهرين بأخر الليل تحذر من المداهمات وهروب قسم كبير الى خارج البلدة وسط خوف الأهالي ورعبهم الذين سمعوا أصوات أبنائهم وصراخهم جراء الضرب، في جو من الرعب الذي أعاد للأذهان أحداث حماه وجسر الشغور لينقلوا المعتقلين بعدها الى أفرع الأمن بادلب.

خرج معظم المعتقلين بعد اسبوع لتبقى تلك الحادثة عالقة بالأذهان وبان لاشيء تغير بأساليب النظام وكان على المتظاهرين أن يأخذوا حذرهم واحتياطاتهم من تلك الاقتحامات، وبدأوا بالنوم في أماكن مخفية لتبدأ مرحلة جديدة في حياة المتظاهرين الذين حرموا من النوم في بيوتهم وليستبدلوها بإمكان تتغير كل فترة.

الجيش السوري يقتحم البلدة لأول مرة بحثا عن مسلحين 2011/8/11

رتل طويل من الدبابات والجنود وسيارات الشبيحة والأمن يقفون في ساعة مبكرة على مشارف البلدة يتهيئون لاقتحامها، يرافقهم عناصر أمن وشبيحة، في جولة كانوا قد قاموا بها على عدة بلدات أخرى، لم يكن الخوف كبيراً، إذ كانت بقايا من ثقة ما تزال لدى الأهالي بأن الجيش لا يمكن أن يؤذي النساء والذين لم يشاركوا بالحراك، هرب المتظاهرون جميعهم من البلدة منكسرين من تركهم لعائلاتهم للمجهول، لم تحدث أية مقاومة فلم يكن هنالك أي سلاح، فتح الجيش نيران أسلحته الثقيلة في الشوارع، واقتحموا البيوت بحثا عن المسلحين الأشباح، وانسحبوا بعد أن اعتقلوا مئات الأشخاص الذين ليس لهم ذنب سوى أنهم وثقوا بهذا الجيش وبقوا في بيوتهم، دام اعتقال أغلبهم لثلاثة شهور، تعرضوا خلالها لمختلف أنواع التعذيب.

صبوا ماءً مغلياً على رأسه وقتلوه تحت التعذيب.. أحمد صالح قدور وثورة بلدة 2011/9/4

اعتقلوه على حاجز القبان، انزلوه من السيارة ونقلوه الى حاجز معمل الزيت ليسوموه أنواع العذاب، قيل أن الضابط كان يسكب عليه ماء المتة المغلي أثناء شربها، ورموه في المشفى الوطني، واضطر أهله للتوقيع على وثيقة تفيد بأن سبب الوفاة هو العصابات المسلحة لكي يحصلوا على جثته كما حدث مع أهل الشهيد غسان العبدو.

لم تشهد البلدة حشدا مثل ما حدث في ذلك اليوم، نهر من البشر الناقمين انتشر من وسط البلدة

حتى ضواحيها، غضب شعبي عارم، واروه في مقبرة بجانب بيته وطريق حلب دمشق، الذي شهد على مدار السنوات القادمة كل تطورات الثورة من عجرها وبجرها، من نبلها وسقطاتها، وليظل قبر أحمد يشحذ في نفوس الشباب روح المقاومة التي انطلقت ببوارید صيد بسيطة لتجابه هذا الإجرام الطاغي.

وتدور الأيام لتظهر في نهاية 2011 جماعة حسم الأمر الغامضة والمبهمة التي امتازت بسرية حركاتها وبامتلاكها لسلاح حديث، ثم ليقتحم الجيش سراقب للمرة الثانية ويقع عدد كبير من الشهداء وهم يدافعون عن بلدهم في 2012/3/24، لتدخل البلدة مجبرة على المشهد العسكري والدموي الذي لم ينته بتحرير معمل الزيت والحواجز المحيطة بها في 2012/11/29.

لا يمكن لنص أن يختصر تجربة بلد في الثورة، ففي كل تفصيل صغير ألاف الحكايات والآلام وفي كل صرخة حيوات تتبدل، لا يمكن لنص أن يقول ما فكر به المتظاهرون والمعتقلون والشهداء والمشردون، لا يمكن للحروف أن توصل خوف الأمهات وانتظار الزوجات وشوق اللاجئين.. لا تطلبوا الإنصاف من الكلمات في مواجهة الثورة، هي عاجزة أمام بلد وشعب ثار لكرامته وحريته فلم يجد سوى الموت جواب.

وكما بدأت الحكاية، عادت المظاهرات بعد خمس سنوات الى سيرتها الأولى.. ضعيفة ومرتبكة وخائفة، لكنها في المقابل تركت الأسد شبحاً لا يملك قراراً على حراسه، وحولته الى موظف ينفذ قرارات الإيرانيين والروس الذين سمعت قرار انسحابهم الأن من سوريا.

"هدنة" سوريا في عيون أبنائها: بارقة أمل.. نريد أن نعود!!

تحرير زيتون

هدأت رحى المعارك في سوريا بشكل كبير وانطفأت نار الجبهات الساخنة، وبقيت أخرى مشتعلة بنسبة قليلة، مع دخول الهدنة السورية الأسبوع الثالث منذ بدء سريانها في تمام الساعة 12:00 من ليل الجمعة 26 شباط 2016م، ما انعكس على الداخل السوري وصولاً إلى دول اللجوء في الجوار.

المصادر الميدانية لـ»زيتون» أفادت بأن اتفاق الهدنة استمر في السريان في نسبة غالبة من الأراضي السورية، على جانبيها الخاضع لسيطرة النظام وميليشياته والأخرى الخاضعة لسيطرة الفصائل المعارضة، مع تسجيل نسبة من الخروقات التي عطلت تطبيقه في مناطق عدة شمالية وجنوبية ووسطى وغربية، لكنها لم تخلع عن "الهدنة" سمة الهدوء الميداني، ما بدا واضحاً في ارتفاع حركة التجارة والزراعة ومعدلات العرض والطلب في الأسواق بنسبة جيدة عن سابقتها.

أبو سامح حريري، مقيم بمخيم للنازحين غرب درعا، يقول لـ"زيتون": "إن استمر الهدوء على هذه الحالة فإن الأمور ستحل إن شاء الله، الهدنة الآن بارقة أمل، نحن يهمنا أن نلتقط أنفاسنا كمدنيين، ولا يهمنا أي شيء آخر بعد الآن ولن نقبل أية حسابات أخرى.. أخي نريد أن نعيش! أليس من حقنا ذلك؟ ومع هذا فنحن لا نقبل المساومة على الثورة، لكن الهدنة ضرورية لكي تهدأ النفوس، وهي مكسب كبير للسوريين في المناطق"، على حد تعبيره.

ويضيف "أنا أعمل في التجارة الحرة، منذ اليوم الأول لاتفاق الهدنة ارتفع في درعا والقنيطرة وريفهما مستوى العرض والطلب على البضاعة وبدت الأسواق في حركة أنشط في مناطق النظام والمحررة أيضاً، كذلك خرج الناس إلى مزارعهم لأنه لم يبق لديهم قوت يومهم، أختلط كثيرا بالناس كل يوم وأنا كشخص أقول لك مع أنني أب لشهيدين نريد وقف هذا الصراع، نريد حل يرغم الأسد على الرحيل، لا نريد مشاريع أخرى تمر على حساب ثورتنا".

وتقول ميادة م. وهي لاجئة مقيمة في مدينة كلس التركية إنها كانت ستعود مع أطفالها إلى ريف إدلب لو شملها اتفاق الهدنة، لكنها علمت أنها غير مشمولة بسبب وجود جبهة النصرة فيها، وتضيف: "لا أفهم لم لا توافق الجبهة على الهدنة، لماذا لا تكون مثل باقي الجيش الحر، ألم تأت لمناصرة السوريين؟ كنت أنوي العودة مع أطفالي، هناك يقيم قسم من أهلي، لكن الآن لا يمكنني المجازفة بهم..".

من جانبه، يشدد عبد الرزاق خوالدة، وهو مقاتل في الجيش الحر شمال حمص على أنهم قبلوا بالهدنة ووقعوا عليها لـ"حماية المدنيين وحقن الدماء السورية"، ويضيف: "نحن الآن نرابط على الجبهات فقط، لا نقاتل ولا نقوم بعمليات هجوم، الوضع جيد بالعموم، هناك خروقات من النظام لكنها قليلة هنا، نحن لسنا ضد الهدنة أو تمديدها لأننا في النهاية سوريين وأبناء البلد ونريد ما يريده السوريون جميعاً..".

ومع دخول الهدنة الميدان السوري، لا يبدو الارتياح في الرقة ودير الزور على مدنييها، الذين دقّ فيها رقابهم لسنوات الثورة الماضية نظام الأسد وتنظيم داعش معاً، فيما "رعبٌ" حقيقي هوليودي في المدن والأرياف وما بعدها وصولاً إلى أرياف الحسكة" كما تقول سماهر من الرقة.

وتضيف "هنا الناس كمن يبلع الموس على الحدين، لا هي قد نجت من بطش النظام ولا من جرائم داعش ولا من قصف التحالف ولا روسيا ولا النظام،

الكل يقصف الكل يضرب بشدة، المدنيين ضحايا الجميع، لا ذنب لنا أننا كنا حيث كانت هذه الخفافيش، الآن نحن نحسد السوريين على ما هم فيه، صرنا نحلم بيوم نفيق فيه من دون صوت طيران.. كله مجهول في الجو لا نعلم لمن يعود، لكن نعلم أنه سيقصف ويقتل منا أناس أبرياء وليس من داعش في غالب الحالات..!!".

وفي النهاية، يرى سعيد وهو مقاتل في جبهة ثوار سوريا الجنوبية، أن "الجيش الحر لن يخذل السوريين، سواء رغبوا في استمرار الهدنة أو انتهائها"، ويؤكد "جبهات القتال ليست باردة كما يقال حالياً بل تم تبريدها بمفعول الاتفاق الذي وقعت عليه عشرات الفصائل التابعة للجيش الحر ونحن منهم، لذا نحن ملتزمون وليس من عادتنا الإخلال بالاتفاقات التي نعقدها، لا سيما ما يتعلق منها بسلامة الأهالي ومصلحة السوريين جميعاً وفي إيجاد حل سريع يحقن الدماء".

وبين تأكيدات المصادر العسكرية في الجيش الحر، التي أبلغت "زيتون" أن الهدنة في طريقها للسريان لوقت أطول، وارتياح الأهالي في الداخل للهدنة كفكرة تحقن الدماء من جهة، وبين أمل طالت حدوده لدى اللاجئين المهجرين من بيوتهم في العودة إليها، يبقى الوقت القادم السيد الفصل بين وهج الآمال وبين إفرازات الواقع مع ما ستحمله تلك الأيام للسوريين.

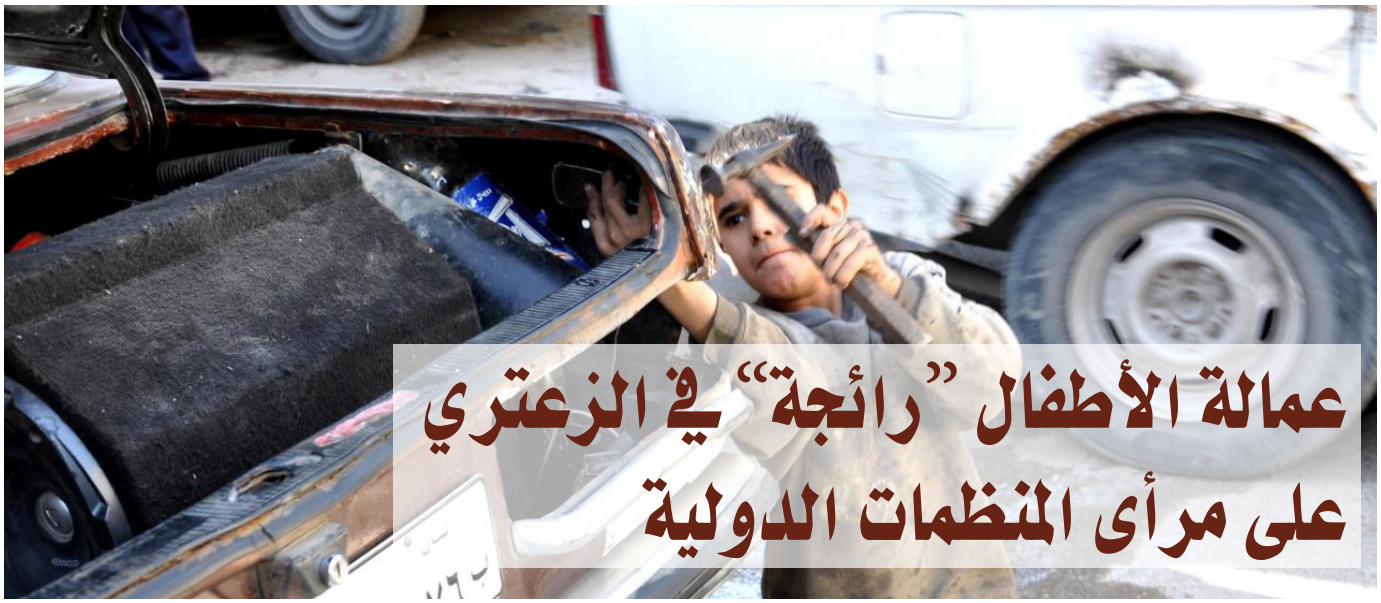

عمالة الأطفال "رائجة" في الزعتري على مرأى المنظمات الدولية

تحرير زيتون

"بدي أصرف على أمي وإخواتي.. حق خبز ما معنا .. لازم أشتغل وإلا بيقتلنا الجوع..!!" .. بعفوية خرجت الكلمات المريرة ممزوجة بخجل الطفولة من فم الطفل السوري محمود البالغ من العمر 11 عام، وهو يمسح بيده جبينه المغبر، حيث يعمل في استخراج الحصى من أرضية مخيم الزعتري شمال شرق الأردن "من الساعة السادسة صباحاً حتى الثانية عشر ظهرا، ثم من الساعة الثالثة عصراً حتى السابعة مساء، وأحياناً في الليل!!" كما يقول.

قصة الطفل السوري "محمود" هي واحدة طبعاً من قصص عشرات الأطفال السوريين ممن ذاقوا مرارة اللجوء واتجهوا إلى سوق العمل بدل آبائهم، حيث قسم منهم غدا بلا آباء نتيجة الحرب، وأخرون بات أبائهم يواجهون عراقيل وصعوبات كثيرة في العمل داخل وخارج المخيم.

ويبرز عمل الأطفال بين اللاجئين في مخيم الزعتري كأحد المسائل الباعثة على القلق. فبالرغم من تسليط الضوء على هذه الظاهرة قبل ذلك، إلا أن الخصوصية والأهمية المنظورة لهذه الموضوع تتبدى من كونها عمالة تتم على مرأى من منظمات ذات صلة بحقوق الطفل وأخرى بحقوق الإنسان ككل في المخيم، كما المفوضية العليا لشؤون اللاجئين "UNHCR"، ومنظمة الطفولة العالمية "UNICEF"، ومنظمة إنقاذ الطفولة "Save the children" وغيرها.

مصادر من داخل المخيم تفيد لـ"زيتون" بتزايد أعداد الأطفال السوريين اللاجئين في سوق العمالة، والأثر السلبي الكبير لهذه الظاهرة عليهم تعليمياً وصحياً واجتماعياً.

محمد م. وهو مدرس يعمل في مخيم الزعتري، يحذر من ظاهرة عمالة الأطفال التي يقول إنها باتت مستشرية في صفوف الأطفال اللاجئين في المخيم، ويقول: "معروف للجميع ما هو الكم الهائل من الانتهاكات الخطيرة التي قد يتعرض لها الطفل في مثل الأعمال التي يقوم بها الأطفال في الزعتري، فإلى جانب الإيذاء الجسدي والنفسي غالباً ما يتعرض الطفل أيضاً للاعتداء أو التحرّش، فضلاً عن تركهم مقاعد الدراسة ونحن الأن نسجل عشرات حالات التسرب.. هذه معضلة حقيقة!!".

"خالد" عمره 7 أعوام، طفل سوري لاجئ يجوب كل يوم من فترة الصباح وحتى حلول الظلام بائعاً للحلوى شوارع مخيم الزعتري، يقول إنه يحاول أن يحصّل ما قيمته أربع دولارات على أقصى حد وأحياناً أقل من ذلك بكثير، تساعده على العيش بكرامة مع أمه وإخوته الصغار بعد أن فقدوا والدهم جراء قصف النظام السوري أحد مناطق حمص، وسط البلاد.

أيضاً، على الباب الرئيسي لمخيم الزعتري يرصد الزائر العشرات من الأطفال السوريين اللاجئين داخل المخيم والذين هم جميعاً في سن الدراسة خارج الأماكن المخصصة لتعليمهم وتنمية مهاراتهم، يجرّ كل منهم عربة لنقل الأمتعة في أجواء غبارية وطقس بارد جداً شتاء وحار جداً صيفاً، والأخطر من ذلك كله أنهم كانوا يتجولون خارج الحدود الجغرافية للمخيم على الشارع الرئيسي ضمن بلدة "الزعتري" الأردنية.

سامي، طفل من القنيطرة يبلغ من العمر 12 عام، يعمل في تجارة خطوط الرصيد للجوالات (التعبئة)، يقول: "أنا أعمل لأنني يجب أن أتي بالنقود لأهلي، نحن ليس عندنا مورد آخر. عائلتي مكونة من 9 أفراد . أختي أيضاً وأبنائها تسكن معنا بذات (القرفانة).. زوجها مات.. أنا المسؤول الآن عنهم جميعاً..".

وأنت تقترب من أحد محال الزعتري في وسط ما يعرف بين اللاجئين بشارع "الشانزيليزيه" من باب السخرية، وهو الشارع الرئيسي في المخيم، تسمع صوت إطلاق نار شديد ..! ويتضح أنه "الأتاري". الأطفال السوريين الذين هربوا من إطلاق النار، الكثير منهم يلعبون ألعاب إطلاق النار في العديد من المحلات المنتشرة في أرجاء المخيم.

داخل إحدى المحال المخصصة لألعاب إطلاق النار، وفي وقت مخصص للدوام المدرسي تجد عشرات الأطفال السوريين خارج المدارس..!!

يضيف محمد م. المدرس في مخيم الزعتري "يترك العمل القاسي على الأطفال هنا في المخيم أثار سلبية للغاية، منها أمراض القلب والصدر وكذلك الأمراض الجلدية وأمراض الجهاز الهضمي والعصبي والتنفسي وأمراض الغدد ونقص التغذية وفقر الدم، إلى جانب المصاعب النفسية والتي يسببها الطقس الصحراوي المعروف هنا، حيث يستمرون بالعمل لساعات طويلة في أعمال قسم منها خطرة على صحتهم".

وفي سؤال لـ"حسين"، الطفل السوري ابن الـ11 عام، العامل في تجارة البحص في الزعتري حول تركه كطفل مقاعد الدراسة للعمل مبكراً أجاب: "أنا لست طفلاً.. أنا (كبير)، ليس المهم مستقبلي في المدرسة، بل الأهم منه هو أن نأكل ولا نمد أيدينا للناس.. أختي أكبر مني سناً وأمي هنا أيضاً لكنني لا أرضى أن تعمل أمي أو أختي بوجودي.. أنا الرجل في الأسرة الآن..!! ".

معسكر زيزون.. حيث الوجع له شكل آخر

أسامة عيسى

أفرزت المواجهات المسلحة وتطوراتها واقعاً إنسانياً مأساوياً ومزرياً في محافظة درعا، جنوب سوريا، نتيجة الأعداد الكبيرة من النازحين الذين فروا من القصف، سواء في المناطق المسيطر عليها من جانب فصائل الثوار، أو الخاضعة لسيطرة النظام، ما أفرز بالمقابل تجمعات عشوائية للمهجرين في عدد من مناطق المحافظة، لعل أهمها مخيم «زيزون» غرب درعا.

تبعد قرية «زيزون» عن مركز مدينة درعا قرابة 20 كيلومتراً وتقع إلى الغرب منها، وهي تجمع سكاني يتبع لمنطقة المزيريب. ويوجد في البلدة معسكر لما يسمى «طلائع البعث» أنشئ منذ حوالي 20 عاماً أو أكثر، ليتحول، لا سيما مع مطلع العام 2013م إلى أهم نقطة تجمع للمدنيين النازحين من المحافظة وغيرها، بينها القنيطرة وريف دمشق وحمص، حيث سكن الوافدون إليه في غرف مسبقة الصنع متواجدة في المخيم أساساً.

مئات المدنيين يتواجدون الآن في ما يعرف بين الأهالي والنازحين بـ«معسكر زيزون»، حيث لم يكن لدى هؤلاء خياراً آخراً، سيما بعد أن قامت السلطات الأردنية بإغلاق المعابر الحدودية مع سوريا ووقف تدفق اللاجئين إليها، وعلى رأسها معبر «تل شهاب» القريب ومعبر «نصيب» و«كويا» و«القصير - حيط».

أم رواد حريري، نازحة في مخيم «زيزون» مع سبعة من أطفالها منذ العام 2013م ولا زالت تقيم فيه، بعد استشهاد زوجها برصاص قوات النظام، تقول لـ«زيتون»: «حال الناس هنا تبكي البشر والحجر، لا توجد خدمات نظافة ولا صحة، الطعام والشراب بالحسرة علينا، ما يأتي لبعض الفصائل توزعه علينا، وكل فترة يأتون إلينا بكرتونة صغيرة لا تطعم الأولاد خمسة أيام».

وتضيف «نحن نطلب وطلبنا ألف مرة أن تأتي ما يسمونها الحكومة المؤقتة أو الائتلاف أو الأمم المتحدة لزيارتنا هنا في المعسكر، عندما يأتوا سيروا حالتنا بأم أعينهم. وتتسائل: «أليس هناك مخصصات للنازحين؟ ألسنا نحن من تشردنا بسبب الحرب؟ أين نذهب بحالنا؟ كل الحدود مغلقة أمامنا؟ أقيم هنا مع أولادي في غرفة لا تتسع لثلاثة أشخاص، شتاء مثل العلقم مر علينا لا يعلم بحالنا إلا الله وحده».

ويقول مزيد نواوي، وهو أيضاً نازح في المخيم من ريف درعا، إنهم طلبوا لقاء مسؤولين في الائتلاف الوطني والحكومة المؤقتة أو الاتصال بهم لشرح واقع الحال، لكن ذلك لم يحصل «لأن الحكومة والائتلاف منشغلين بأمور أخرى» كما يقول متهكماً، ويضيف «أقيم هنا مع ثمانية أولاد، بينهم شبان في غرفة مساحتها تسعة أمتار، نضع كي نستر حالنا ساتر قماشي أمام الغرف كمطبخ ومكان للغسيل ونستخدم أحد الغرف كحمام، لأن الحمام جماعي هنا. التنظيم يكاد يكون معدوم لولا جهود بعض الخيرين والمتطوعين، ومع ذلك فالوضع مأساوي جداً ولا حال أردأ من الذي نعيش به الآن، حياتنا مريرة، هؤلاء المسؤولين في المعارضة لو كان لهم أولاد مشردين لحسّوا بنا!!».

يفتقر مخيم زيزون غرب درعا لوجود نقاط طبية تخدم النازحين المتواجدين فيه، القادمين من مناطق ريفي درعا الغربي والشمالي الغربي والشرقي والمدينة، وبعض منهم من نازحي القنيطرة المجاورة لدرعا غرباً، وقلة من ريفي دمشق وحمص، ممن قدموا للخروج للأردن وبقوا في المنطقة بعد إغلاق الحدود من الجانب الأردني، وتشير المعلومات إلى أن أعداد القاطنين في المخيم لا زالت بازدياد، لا سيما من الأطفال والنساء وكبار السن.

تقول سوسن، وهي لاجئة تقيم مع والدتها الكبيرة السن في المخيم: «الحال أصعب من أن يشرح بالكلام، لا نظافة ولا طعام ولا ماء ولا كهرباء، عن أي شيء يتحدث الإنسان. لقد أصبحنا سلعة يتاجر بنا الجميع ليجمعوا الثروات على ظهورنا، المعارضة والنظام والدول كلها، نحن هنا نعيش بحماية الله فقط ولا نريد شيء من أحد لأننا طلبنا كثيراً ولم نحصل على أي حق..».

خدمات النظافة ومعايير الصحة العامة شبه معدومة في المخيم الحدودي مع الأراضي الأردنية، ما يشكل خطراً على النازحين داخله بشكل عام، لا سيما بفئة الأطفال. كذلك المدارس منعدمة وخدمات التعليم والدعم الغذائي غائبة. ولا وجود لمستوصفات صحية في المعسكر، فيما يقدم مستوصف تل شهاب الذي يبعد 7 كيلومترات عن المخيم الخدمات الطبية الأولية للنازحين.

سالم خ. نازح آخر في المخيم يقول: «أتيا بأولادنا لهذا المكان كونه آمن نسبياً فقط، أردنا أن نكون بمنأى عن القصف وضربات الطيران، فوجدنا موت من نوع آخر هنا. إذلال للحصول على مستحقاتك الغذائية إن وجدت، ومعاناة في تأمين قوت يومك أنت وأطفالك في غالب الأحيان، العمل غير متوفر، والأطفال لا ترحم».

جريدة زيتون تتذكر "نهفات" النظام السوري في بدايات الثورة

حازم حسون

الكثير من «الغباء» في سياسة النظام وبالتحديد عناصر أمنه ومخابراته، تعود إلى تاريخ « التخلف» الذي رسّخه النظام في سوريا، عندما جعل عنصر الأمن أهم من طبيب مخضرم، لكن مع بداية الثورة السورية، بدأ يظهر للعلن بعد ان كان سراً، معنى الغباء الأمني، وتحولت الكثير من المواقف التي تجري بين مواطنين سوريين ورجال الامن إلى «نهفات» نقلوها لاحقاً وأغنت سهراتهم بـ»الضحك».

وين الفيسبوك يا حيوان؟؟

سجل التاريخ طلاب جامعة حلب كأول من خرج في مظاهرات مناهضة للنظام في المدينة، وبأشكال كثيرة منها ما هو علني وفي وسط الجامعة، إلا ان المظاهرات كما هو معروف في سوريا لم تكن تنتهي بصورة «سلمية».

مجموعة من عناصر الأمن « الهائجين» بالمعنى الحرفي للكلمة، توجهوا بعد أحد المظاهرات إلى غرف السكن الجامعي، وقاموا بتفتيش الغرف كلها، لكن ما أثار استغراب الطلاب هو بحثهم عن «الفيسبوك».

في أحد الغرف سأل عنصر أمن من الساحل السوري الطلاب المتواجدين «وين الفيسبوك يا حيوان»، اضطرب الطلاب ولم يعرفوا كيف سيجيبون على السؤال مع استمرار تصريحهم بعدم معرفة أين يكون الفيسبوك بالإضافة إلى استمرار عناصر الأمن بالتفتيش.

وجد أخيراً عناصر الأمن الفيسبوك «الذي يريدونه» وهو «لابتوب» لأحد الطلاب، رفع عنصر الأمن «اللابتوب» وقال «عم تخبو عنا الفيسبوك، وهاد شو عم يشتغل، هاد مو فيسبوك، إي وللّه لنفرجيكن نجوم الضهر».

هيّئ هالفلاشة لقلك

على أحد الحواجز، وقف عمار ينتظر دوره بالمرور، وبعد مرور ربع ساعة وصل دوره، حيث قام عناصر الحاجز بتفتيشه، ووجد معه أحد العناصر «فلاشة» لتخزين المعلومات.

وبنظرة المكتشف لجريمة شنيعة قال عنصر الأمن لعمار «معك فلاشة، فلاشة يا جحش» وتوجه فوراً إلى الضابط المناوب وأعطاه «الفلاشة» وأمسك بعمار بطريقة «المحكوم عليه بالإعدام»، نظر الضابط إلى الشاب ووضع الفلاشة في «اللابتو» كما يسميه، ولكنه لم يعرف كيف يفتحها فطلب بعد مجموعة من الشتائم من عمار التقدم لفتحها ومعرفة ما بداخلها.

ومن دون أي تفكير قال عمار للضابط « سيدي مافيني افتحها هيك، هي بدها تهيئة»، أجابه الضابط «طيب شو منتظر يا غبي، هيئها». وبالفعل قام عمار بتهيئة «الفلاشة» وفتحها، ثم توجه للضابط وقال له «سيدي هي الفلاشة، فاضية وللّه مافيها شي» رد الضابط عليه «أفيها شي؟؟!! تعال كول كف بس لأنو معك فلاشة، وروح انقلع لعنة اللّه عليك».

ما بتعرف تكتب إيميلك بالعربي !!؟؟

بعد تحقيق لساعات مع متهم بـ»الخروج في مظاهرات» بالإضافة طبعاً إلى ضرب وتعذيب، طلب الضابط احضار المتهم ليتفاهم معه بـ»الحسنى».

قال الضابط للشاب المتهم «قعود يا ابني، يعني انتو حيوانات، ليش لتطلعوا ضد الرئيس مع انو كتير الزلمة أكابر ومنفتح» لم يرد عليه المتهم بكلمة واحدة.

أردف الضابط « طيب يا ابني تعال فتحلي إيميلك ع هالابتو لشوف». بخوف أو رعب تقدم المتهم خطوات وفتح صفحة موقع «Hotmail» وبدأ يكتب عنوان بريده الالكتروني.

قاطعه الضابط «هلق أبقا تعرفو تكتبوا بالعربي، ليش مانك ما تكتب إيميلك بالعربي يعني، فيني افهم. هي منشان تعرفو انها مؤامرة من أمريكا وبريطانيا، على كلن بسيطة انا بفرجيك، رح خليك ترجع تكتب العربي متل ما اللّه خلقك».

قديش دفعتي حق هالإيميل؟

أحد ضباط الأمن وبعد تحقيق مع فتاة جامعية بدمشق، توجه لها بسؤال لم تفهمه كثيراً حيث قال لها « قديش دفعتي حتى عملتي هالإيميل ها، قديش كلفك فيني افهم».

لم تعرف بالضبط كيف ستكون الإجابة على هذا السؤال ، لكنه تابع حديثه مباشرة « بندر مايدفعلكن حق الإيميل مو هيكي، بسيطة يا خاينين للوطن، بسيطة».

منشان ميتين ليرة بتخسر وطنك

في أحد المظاهرات بمدينة حماه تمكن عناصر الأمن من القبض على 5 شبان بينما كانوا يحاولون مساعدة فتاة على الهروب من بين أيديهم.

جمع ضابط الأمن الشبان، وقال لهم جميعاً «منشان ميتين ليرة يا كرارة بتخسرو وطنكن، منشان ميتين ليرة من بندر بن سلطان بتخسرو هالبلد يلي عم يطعميكن خبز بـ15 ورقة».

وتابع الضابط «وللّه لخليكن تحلموا بالخبز يا ....» وطلب من عنصر الأمن أخذهم إلى سجن يحتوي 100 شخص في مساحة لا تتسع لـ10 أشخاص والسبب كما يرويه الشبان « بندر والميتين ليرة».

قصص كثيرة يرويها سوريون استطاعوا الخروج سالمين من بين أيادي المحققين وضباط الأمن، ولم يعرفوا وقتها إن كانوا سيبكوا أم سيضحكوا عليها، لكنهم لاحقاً تناقلوها بين بعضهم لتذكرهم ببعض ما يمتلكه النظام وعناصره من «غباء» يفوق حدود الخيال.

"كانت الرابعة فجراً عندما اعتقلوني، كنت نائماً في البيت،

بمن نحتفل أيّها الشاعر؟ شكسبير يهزم الملكة

بشار فستق

في المئويّة الرابعة على وفاته، ستقام للشاعر والمسرحيّ «وليم شكسبير» فعّاليّات عديدة، تعيد إلى الأذهان عبقريّة هذا المبدع، وتسلّط المزيد من الضوء على حياته وأعماله وأثره في الثقافة العالميّة.

رغم كلّ الإشكاليّات المختلفة التي حامت حول «شكسبير»، بدءاً من وصف أعماله بالبشعة والمليئة بالجثث، واتّهامه بالابتذال إرضاءً للذائقة المنحطّة للعامّة، إلى كشف المصادر التي كان ينقل أعماله منها دون تغيير يُذكر أحياناً، وصولاً إلى التشكيك بوجود شخص اسمه «وليم شكسبير» أصلاً!. رغم كلّ ذلك، تحتفي بريطانيا ويتبعها العالم في الاهتمام المتزايد به؛ فتُحوّل الدولة البيت الذي ولد فيه إلى متحف، وتُخصّص الأموال الطائلة للاحتفاء به وبأعماله، وبالأعمال التي تتناول كلّ ما يخصّه.

على النقيض، تقوم الطغم الاستبداديّة بطمس ذكرى مبدعي البلاد التي يتحكّمون بها، فلن تجد نظاماً عربيّاً يتذكّر مناسبة تخصّ مبدعاً، إلّا إذا تمّ ذكر «قائد المسيرة» أو «سيّد الوطن» أو «القائد الرمز» وتمجيد أقواله «العبقريّة الفذّة» و «عطاءاته ومكرماته» وألصقت صوره في وجه الناس لتغطّي مظاهر الحياة الطبيعيّة. إلى درجة تخال فيها أنّ مناسبة تخصّ تكريم المبدع غير موجودة في خضمّ تقديس الديكتاتور.

لا يمكن أن نحصي مبدعينا، ويمكن – بسهولة - أن نجد لكلّ يوم في السنة شاعراً هامّاً عندنا نحتفي به، ربّما يفوق شكسبير موهبة وحتّى إشكاليّة. أبو تمّام، البحتريّ، أبو العلاء، القبّاني الذي تقترب ذكرى مولده (21 آذار) وذكرى وفاته (30 نيسان)، الماغوط (وفاته في 3نيسان).. حقيقة، لا يمكن أن نحصيهم.

بالأمس (الخميس 10 آذار 2016) قام تنظيم «داعش» الذي يقوم بدور مساعد المستبدّ القاتل، بقتل الشاعر «بشير العاني» في دير الزور، وكان من آخر ما قاله:

... أراقبُ الأجسادَ المعلّقات على الأعواد بانتظار شفاعة الأمّهات كيما تترجّل.. هذا إنْ بقيت للأمّهات هذه الأيّام شفاعة لدى أمراء الحرب..

وبالذعر البشريّ الذي تستطيعه روحي أفكّر بالجثث المرميّة في المدن والمزارع والبلدات.. جثث برؤوس وبلا رؤوس.. من سيأبه بها أكثر من القطط والكلاب الشاردة.. و(الحقّ أقول لكم.. لا حقّ لحيّ إنْ ضاعت في الأرض حقوق الأموات..)...

قتل التنظيم مع الشاعر ابنه «إياس»، وكأنّ القتلة يكملون ما يفعله النظام المستبدّ الذي لا يزال يعتقل الفنّان المسرحيّ ووريث خيال الظلّ «زكي كوردلّو» وابنه الفنّان المسرحيّ أيضاً «مهيار»، ولا نعرف عنهما شيئاً (منذ 11 آب 2012).

بينما احتُفل أوائل العام الحاليّ 2016 في أكثر من مدينة فرنسيّة بالشاعرة والممثلة السوريّة «فدوى سليمان» التي لجأت إلى فرنسا منذ العام 2012 هرباً من النظام القاتل في سورية، بسبب تنظيمها لمظاهرات ضدّ النظام في حمص، في «ثورة بيضاء، ثورة العقل» كما تقول فدوى، ولتحمل: صوت الشعب السوريّ ولاجئي العالم.

لقد صار ديوانها «كلّما بلغ القمر» جزءاً من برنامج المدارس في فرنسا، ضمن إطار جائزة «ديكوفرور» المختصّة بالشعر، التي يمنحها الطلّاب للشعراء، فاحتفى بها الطلبة الفرنسيّون من خلال «بيت الشعر» في مشروع يسمح للطلّاب، بالتعرّف على الشعراء المعاصرين والاطّلاع على شعرهم والتماهي معه. فاكتشفوا ديوانها الأوّل، الذي كُتب بالعربيّة في سورية ثمّ أكملته فدوى في فرنسا، وتُرجم إلى الفرنسيّة.

أمّا الشابّ الذي ألّف أغنية صدح بها نحو مليون متظاهر في حماة في «جمعة ارحل» والتي تقول كلماتها: «يا بشار ومانك منّا.. خود ماهر وارحل عنّا.. شرعيتك سقطت عنّا ويلا ارحل يا بشار.. يا بشار ويا كذّاب.. وتضرب أنت وهالخطاب.. الحريّة صارت عالباب.. ويلا ارحل يا بشار». هو إبراهيم قاشوش من لم يحمل السلاح، بل كانت حنجرته ما أغضب عصابة النظام، فاختطفته قوّات الأمن وذبحته وأخرجت حنجرته من رقبته ورمته في نهر العاصي.

في ألمانيا، مهرجان القصيدة السوريّة الأوّل في مدينة كولونيا، يومي 19 و20 آذار الحاليّ، بمشاركة عشرين شاعراً سوريّاً يجمعهم منفى واحد «لأنّ القصيدة ممكنة فالحياة ممكنة».

أظهر استطلاع للرأي أجراه المجلس الثقافيّ البريطانيّ في دول متفرّقة من العالم أنّ «شكسبير» هو أهمّ الرموز الثقافيّة في بريطانيا، وجاءت بعده ملكة البلاد إليزابيث في المرتبة الثانية.

عمل: سومر كنجو الذكرى الخامسة للثورة

تغريبة الخاسر

بشير العاني

قصدية للشاعر بشير عاني الذي أعدمه تنظيم داعش منذ أيام مع ابنه.

((لهكذا حزن أسرجتني أمي))
بشير عاني
يا عكازَ وقتي الكفيف..
ويا مقاعدي على أرصفةِ التعبِ الطويل..
هاأنا..
أنا العاثرُ بجماجم اتزاني..
الشاغرُ إلاّ منكِ..
أبحث عن صرّةٍ لملمتِ فيها أوجهي التي أنسربت..
لملمتِ فيها براءتي..
خسائري..
أنا الذي قايض الطمأنينة بالهزائم..
ويا وجعي الفسيح..
يا سبعينَ أرضاً يجوبها النشيجُ..
ها أنا.. بكل الصهيل الذي لا يُطيقُ حمله الترابُ.. ولا تحيطُ به أذرعُ القبور..
أفتح كوةَ البكاء للبُحة الغريبة..
أزرعُ أعشاب حزني على صوتي الذي يسيل إلى مستقر لكِ..
وأزرعُ روحي فزّاعةً لطيور الظلمة والوحشةِ..
وأزرعكِ بأرض كلامي.. سنديانةً لظهيرات المراثي..
والحزنُ برّيتي
وأنا حصانُ أيامكِ الخاسر..
أجري..وأجري..
أنا الكهلُ الذي خسر الحداءَ والهدهدات..
فمن يقي أيامَه الرحيلَ.. ولا ظلُّ إلا ظلكِ..
ومن يُلقمه السلوى.. ولا حلمةٌ للسكينةِ.. لا ضرعُ لراحة البال..؟
* * *
وقرب دمعك الذي يبلّلُ الفجرَ وسجادةَ الصلاةِ ..
ويسقي نخيلَ الأدعية..
عند لُهاثِ أيامكِ التي طاردتها بنادقُ التعب..
على أعتاب الشحوبِ..
أقفُ على رؤوس حيرتي..
لأهتفَ : يا أمي..
أنتِ الصراطُ الذي تهتُ في شعابهِ..
سيرةُ الفتحِ التي يعجُّ بها دمي..
وفَقهُ خلاياي..
أنتِ الوحيُ الذي أنطقَ قلبي بالهوى..
وكعبتي التي أنقّلها في جهات الروح..
وبلدي.. بلدي الامين..
وأنتِ التي أقفُ بين يديها على رؤوس دهشتي لأهتفَ :
يا أمـــي :
لماذا يُحلّي شفتيَّ كفُّكِ الكريم..
لماذا تعجزُ روحي عن تلاوتهِ.. وعن تأويله..؟
* * *
ولا إثمَ لي..
غير أني نذرتُ قطيعاً من القصائدِ..
وهَدْياً من الرِّضا أسوقُ إليكِ..
فملتُ ومالَ نحريَ نحو سكينِ البكاءِ..
ولا إثمَ لي..
غير أني سهوتُ قليلاً..
فتاهت في الدياجي نياقُ الهدايةِ..
لم أدرِ ما سُكّرُ اللّهِ حتى رشَشتِ الحمدَ والرحمنَ فوق أرغفةِ الرؤى وأذبتِ سبعينَ قطعةً في جِرارِ الرّضا..
وقلتِ اِشربْ:
وما أنا بشارب..
روحي تثلّمها الشكوكُ وحَنجرتي دريئةٌ للأسئلة..
أيامُنا بياضٌ لحبرِ الآخرين.. وأبجديتُنا خراب..
خطانا يُفصلها العابرون علينا.. والعابرون إلينا..
وقلت اِشربْ ..
وما أنا بشارب..
وهل يروي الرضا عطشي ..
هل يُمضمضُ السّكينةَ الذي دمّل حلقَه اليقينُ.. ؟
وقلتِ اتقِ يوما ستُرجعُ فيه..
وهل يُعيدُ اللّهُ الصلصالَ بلا مائهِ..؟
هل يُعيدُ إليه الطينَ الخوّارَ..؟
ولا إثمَ لي..
غير أن الطفولةَ خِرقةٌ..
وان الموتَ بصمةٌ..
وما من مقبضٍ في مديةِ العويل.

زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
SNP